الانسجام الخفي في القرآن الكريم

ا.م. د. عبّاس إسماعيل سيلان
جامعـة ميسان / كلية التَّربية الأساسيّة

الملخص

العنوان هو (الانسجام الخفي في القرآن الكريم) ، فمع روعة النّظم القرآنيّ التي تأخذ بالألباب ، تظهر فيه نصوصٌ وكأنّه بعدٌ تعبيريٌّ بين أجزائها النصيّة ، مع أنّ التنقيب خلفها يُبيِّن أنّ الانسجام متماسكٌ وقويّ ، وقد لحظ الباحث أنّ الدراسات الحديثة لم تُشِر الى هكذا قضية ، بل انّ من المُلحدين من استغلّ هكذا نصوص في سبيل التقوّل على القرآن الكريم

وقد قسّم البحث على : تمهيد وأربعة مباحث ، وفي التمهيد أسّس الباحث للمصطلح ، وبحث عن جذوره وكشف عن انواعه .

ثم جاء المبحث الاول وكان في بيان : الانسجام الخفي على مستوى المفردات، فأبان البحث انماطه والدلالات المترتبة عليه .

اما المبحث الثاني فكان الانسجام الخفي بين أطراف الأدوات الرّابطة من مثل الاداة الفاء ولكن وانما ... ؛ فقد ربطت هذه الادوات في طائفة من المواضع القرآنية بين اجزاء يبدو عليها التباعد في الظاهر ، وكان وراء ذلك اسرار تعبيريّة بليغة ومؤثرة .

ثم جاء المبحث الثالث الذي تخصص بـ : الانسجام الخفي بين الجمل المتوالية، فثمة جمل في القران تظهر وكأنها غير مترابطة ولكن مع زيادة التأمل والتنقيب تنكشف قوة التلاحم بينها .

واخيرا المبحث الرابع الذي هو (الانسجام الخفي بين الجمل غير المتوالية) علمًا أنّ هذا المبحث هو الأهم في هذا الوقت اذ وظّفه الهزيلو المعرفة على أنّه من التناقض .

وقد اعتمد الباحث على التفاسير والكتب التّراثيّة مع الإفادة من المعاصرة بما في ذلك شبكة الانترنيت ليكون البحث اكثر احاطة بالقضية ، لكنه لم يخرج عن الايجاز في الطرح ، فالمناط هو التشخيص والعلاج لا الاستقصاء الذي قد يُثير الملل ويُوقع الباحثُ بآفة التكرار غير المقبول .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدللهِ ربِّ العالمين وصلّى الله على النّبيّ وآلهِ الطّيبين الطّاهرين .

وبعد

يُعدُّ القرآن الكريم الدستور الذي يوصلنا لرب العالمين ، ومن هنا توالت عليه الدراسات ، التي يمكن القول عنها : إنّها لا تنفد فيه ولا يمكنها أنْ تكون متكاملة ، وهذا ممّا يجعل الباحث يقدم بين رغبة الولوج في خدمة الكتاب العظيم ورهبة الاخفاق في تكامل الدراسة ، ويزداد الأمر رغبة ورهبة فيما لو كانت تلك الدراسة تتسم بشيء من الأصالة ، وتجمع بين التليد والمعاصرة ، وتصبُّ في موضوع لم تخصص له دراسة من قبل ألا وهو خفاء الانسجام القرآنيّ في مواضع من القرآن ، فكان العنوان : (الانسجام الخفي في القرآن الكريم) ، فمع روعة النّظم القرآنيّ التي تأخذ بالألباب ، تظهر فيه نصوصٌ وكأنّه ثمة بعدٌ تعبيريٌّ بين أجزائها النصيّة ، مع أنّ التنقيب خلفها يُبيِّن أنّ الانسجام متماسكٌ وقويّ ، وقد لحظَ الباحث أنّ الدراسات الحديثة لم تُشِر الى هكذا قضية ، بل انّ من المُلحدين من استغلّ هذه النصوص في سبيل التقوّل على القرآن الكريم ، ولكن إذا طرقنا ابواب التراث وتحديدًا التراث التفسيريّ فسنجده لا يخلو من إشارات جيدة لمعالجة الاشتباه في تحقق الانسجام ، ومن القدماء الذين أبانوا ذلك الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) في تنزيه الانبياء والزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) في كشافه وأبو حيان (ت ٧٤٥ه) في محيطه على أنّ الاخير يظهر تأثره واضحًا في الزمخشري .

ويحث على البحث أيضًا أنّ الدراسات التي تناولت الانسجام القرآنيّ بالرغم من كثرتها الا انها قد اقتصرت على الواضح الجليّ منه دون الخفيّ ، والسبب أنّ من عادة الدارسين الميلَ الى النصوص البارزة التي تلبي طموحاتهم التطبيقية اما تلك التي تثير الاشكالات فانهم يُعرضون عنها ، فباتت ضرورةُ البحثِ في الانسجام الخفي مُلحَّة لذلك . زدْ على هذا أنّ الانسجام الجليّ بديهيّ في كثير من مواضعه ؛ فالقائل هناك علاقة بين الفارس وسيفه لا يثير استغرابًا لكنه اذا قال هناك علاقة بين الفارس والمطرقة فهنا يبدأ التساؤل والاستغراب ، وهذا يعزز الدراسة لنصوص خفية الانسجام .

وقد قسّم البحث على : تمهيد وأربعة مباحث ، وفي التمهيد أسّس الباحث للمصطلح ، وبحث عن جذوره وكشف عن انواعه .

ثم جاء المبحث الاول وكان في بيان : الانسجام الخفي على مستوى المفردات، فأبان البحث انماطه والدلالات المترتبة عليه .

اما المبحث الثاني فكان الانسجام الخفي بين أطراف الأدوات الرّابطة من مثل الاداة الفاء ولكن وانما ... ؛ فقد ربطت هذه الادوات في طائفة من المواضع القرآنية بين اجزاء يبدو عليها التباعد في الظاهر ، وكان وراء ذلك اسرار تعبيريّة بليغة ومؤثرة .

ثم جاء المبحث الثالث الذي تخصص بـ : الانسجام الخفي بين الجمل المتوالية، فثمة جمل في القران تظهر وكأنها غير مترابطة ولكن مع زيادة التأمل والتنقيب تتكشف قوة التلاحم بينها .

واخيرا المبحث الرابع الذي هو (الانسجام الخفي بين الجمل غير المتوالية) علمًا أنّ هذا المبحث هو الأهم في هذا الوقت اذ وظّفه هزيلو المعرفة على أنّه من التناقض .

وقد اعتمد الباحث على التفاسير والكتب التّراثيّة مع الإفادة من المعاصرة بما في ذلك شبكة الانترنيت

ليكون البحث اكثر احاطة بالقضية ، لكنه لم يخرج عن الايجاز في الطرح ، فالمناط هو التشخيص والعلاج لا الاستقصاء الذي قد يُثير الملل ويُوقع الباحثُ بآفة التكرار غير المقبول .

وختامًا أسأل الله أنْ يمنَّ علينا بشفاعة القرآن يوم الورود . انّه ولي التوفيق .

التمهيد : الانسجام الخفي مفهومه ونوعاه وأصوله

الانسجام لغة : من ((**سجم : سَجَمَتِ العينُ تَسجُم سُجُومًا ، وهو قطران الدَّمع قلَّ أو كثُرَ ، وكذلك المطرُ**))[١] ، والجامع بين المطر والدمع هو نزول الماء من جهة عُليا بصورة متتابعة . وتكاد المعجمات تجمع على أنّ (سجم) بمعنى نزول الدمع أو المطر[٢] ، وسيظهر أنّ هذا يتقارب مع الاصطلاح ، ففي نزول المطر وكذا الدمع تتابع وتوالٍ ، وهذا هو مبدأ الانسجام النصيّ .

والانسجام في الاصطلاح هو : ((**تنظيم مضمون النّصّ تنظيمًا دلاليًّا منطقيًّا**))[٣] ، وامتاز القرآنُ بانسجام رائع ، حيّرَ الألبابَ في بنائهِ ، فمع أنّه ليس على الأوزان الشعريّة إلا أنّ الموسيقية فيه تفوق الشعر وتفوق كل فنٍّ أدبيّ ؛ فقد تملّ من القصيدة اذا سمعتها مرتين او ثلاثًا أمّا القرآن فيزدادُ الشّوق إليه – عند من نصَح نفسه – مع التّكرار ، ومع كل قراءة تزداد اللهفة ، وتجد المواظب على قراءته اذا تركه مدة من الزمن تجده يشعر بنقص وفراغ لا يسدّه الا القرآن نفسه .

وهذا الجذْب الى القرآن ، أحد أسبابه الانسجام العجيب فيه . ذلك انّ السليقة اللغويّة تميل إلى وجود الانسجام ، فإذا ما تضعضع وجوده فإنها تستشكل على ذلك ، ومن هنا بات تحقق الانسجام أمرًا مهمًّا ، على أنّ منه ما هو واضح لا غبارَ عليه ، ومنه ما يدق تفسيره ولا يتضح الا بعد ضرب من اجهاد الفكر ، ومن هنا مال البحث الى تقسيم الانسجام الى ظاهر (جلي) وغير ظاهر (خفي) ، وعلى النّحو الآتي :

– الانسجام الجليّ

وهو الذي عليه الدراسات بوضوح التلاحم بين اجزاء النص ، وقد افاد منه المفسرون كثيرًا في التفسيرات الاحتمالية بحذف الوجه الذي لا ينسجم مع سائر النص[٤]، فمثلًا من التفاسير مَن بيّنت ان المراد بـ (يس) هو الإنسان ، لكن توظيف عنصر مراعاة الانسجام يرفض ذلك ، يقول الشيخ مكارم الشيرازيّ : ((**ومنها أنّ المخاطب هنا هو الإنسان و " سين " إشارة له ، ولكن هذا الاحتمال لا يحقق الانسجام بين هذه الآية والآيات اللاحقة ؛ لأنّ هذه الآيات تتحدث إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده**))[٥] ، فالقرآن يقول بعدها ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) ﴾ ، ويستحيل أن يكون

(١) العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تح: الدكتور مهدي المخزومي – الدكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٠ ، (مادة سجم) : ٦ / ٥٩ .
(٢) ينظر : اساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار ومطابع الشعب – القاهرة ، ١٩٦٠ : ٤٢٥ ، ولسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، نشر أدب الحوزة ، : محرم ١٤٠٥ : ١٢/ ٢٨١ .
(٣)النّصّ والخطاب والاتصال، د. مُحَمَّد العبد ـ الأكاديميّة الحديثة للكتابِ الجامِعيّ ـ القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥ م : ٩٢ .
(٤)ينظر : آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي النجفي(ت ١٣٥٢ هـ) ، مطبعة العرفان – صيداء ، ١٣٥٢ ـ ١٩٣٣ م : ١/ ٢٤٠ ، ، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٥/ ٥٨٣ ، والتفسير الحديث ، محمد عزة دروزة: ٤/ ١٢٢ ، ١٤٢ ، ١٨٨ .
(٥)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٤/ ١٣٠ .

هذا الخطاب لغير النبي المصطفى.

وعلى هذا يمكن القول عن الانسجام الجليّ بأنّه هو الذي تدركه السليقة السليمة وتتلاءم اطرافه من دون تساؤل ، وقد التفت العرب الى ذلك منذ القدم ؛ ((**ألا ترى أنّه لما سمع قارئًا يقرأ** ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ * غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **أنكر أنْ تكون فاصلة هذا التركيب السابق : والله غفور رحيم**))[٦] ، اذ لا علاقة بين ما ذُكِرَ ومضمون الآية ؛ ((**قال الأصمعيّ : قرأتُ هذه الآية ، وإلى جنبي أعرابي ، فقلتُ : واللهُ غفورٌ رحيم ، سهوًا ، فقال الأعرابيّ : كلام من هذا ؟ قلت : كلام الله . قال : أعدْ فأعدتُ : والله غفور رحيم ، فقال : ليس هذا كلامَ الله ، فتنبهت ، فقلتُ : والله عزيز حكيم . فقال : أصبتَ ، هذا كلامُ الله . فقلتُ له : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا . قلت : فمن أين علمتَ أنّي أخطأتُ ؟ فقال : يا هذا ، عزّ فحكمَ فقطعَ ، ولو غفرَ ورحمَ لما قطعَ**))[٧] ، فالعلاقة المتماسكة بين أجزاء النّصّ هي التي هدتْ الاعرابي إلى تحديد الفاصلة القرآنيّة السليمة . ففُسِّر آخرُ الكلام بأولهِ .

٢ ــ الانسجام الخفي :

بان فيما سبق مفهوم الانسجام ، اما مفهوم (الخفي) فهو من (خفِيَ) التي تعني عدم الظهور وهي عكس الجلي (الواضح)[٨] ، وورد استعمال (الخفي)[٩] في الدراسات :

<u>في علم التجويد</u> : اذ ورد اللحن الخفي وهو عكس اللحن الجلي ، فالأول يقصد به الخطأ بأحكام الصفات والسكنات ، والثاني يقصد به الغلط بالإعراب ، وجاء ((**اعلم أن اللحن لحنان : جلي وخفي ، فالخفي لا يعرفه إلا المنقب المجود الضابط ، وهو تحريك المسكنات وتشديد المخففات ، وتخفيف المشددات ، وتحريك المنوّنات ... والجليّ هو تغيير أواخر الكلم من الرفع والنصب والجر والاثبات والحذف في غير موضع**))[١٠] .

<u>في علم الاصول :</u> وعبّر عنه بالنّصّ الخفي ويكون المعنى المقصود ليس في اللفظ وانما في الفحوى[١١] ، فهذه العلوم تعبر عن الامور التي فيها نوع من الخفاء بالخفي .

<u>في الفقه</u> اذ برز في باب المعاملات بالعيب الخفي والعيب الجلي و((**العيب الخفي ...هو الذي لا يظهر بمجرد الاختبار المتعارف قبل البيع**))[١٢] ، والجلي عكسه .

وهناك أمور عبِّر عنها بالخفاء ؛ فمثلا العافية عبّر عنها بالملك الخفي، جاء ((**في حكمة آل داود (عليه السلام) : العافية الملك الخفي**))[١٣] . وعبر عن الرياء بالشّرك الخفي[١٤] .

---

(٦) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت - دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٢ - ٢٠٠١م : ٢/ ٤٢٦ .

(٧) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، تح : محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، جمادى الأولى ١٤٠٧ - كانون الثاني ١٩٨٧ م : ٢/ ٢٧٤ .

(٨) ينظر : العين : ٤/ ٣١٣ .

(٩) وجوده في الدراسات سوّغ ان يجتهد في استنباط مصطلح الانسجام الخفي .

(١٠)كشاف الفهارس، السيد محمد باقر حجتي ، د. سيد محمد باقر حجتي ، انتشارات سروش ، ط١ ، ١٣٧٠ ش: ٢٨٨

(١١) ينظر : رسائل الشريف المرتضى ، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) ، تح : السيد أحمد الحسيني ، إعداد : السيد مهدي الرجائي ، مطبعة سيد الشهداء - قم ، ١٤٠٥ هـ :١ / ٣٣٩ .

(١٢)كتاب المكاسب، الشيخ الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ) ، تح : لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، المؤتمر العالميّ بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري ــ قم ، ط١، ١٤٢٠: ٥/ ٣٣٦.

(١٣)الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) ، مدرسة الإمام المهدي (ع) ، قم ، ط١ ، ١٤٠٧: ١١٤ .

ومن هنا يبان أنّ الخفي ورد في طائفة من المصطلحات بأنّه يكون في أمور غير ظاهرة للعيان الا بالتأمُّل والتحقيق . او انّه درجة غير ملموسة .

وتأسيسًا على هذا يكون الانسجام الخفي في القرآن عبارة عن تلاحم نصوص القرآن بعد جهد من التّأمّل بسبب خفاء أسس تماسكها وتعالقها .

الدراسات المقاربة في التراث

لا يمكن الزعم أنّ الدراسة هذه من دون أصل ، فهناك جذور تتحد معها في الفكرة ، ومنها :

ـ **الغريب في القرآن** : ويتشكل في دراسة غير الواضح . وقد توالت الدراسات عليه في ذلك الوقت ، ومن هذه الكتب على سبيل المثال غريب القرآن للسجستاني (ت ٣٣٠ هـ) ومفردات غريب القران للاصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، والغريب في مثل هذه المؤلفات يختصّ بالألفاظ الغامضة المعنى .

ـ **المشكل :** ويكون بدراسة المبهم او الذي به اشكال غير واضح للقارئ . وقد التفت القدماء الى وجوده في القرآن ومن مؤلفاتهم فيه : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) .

والقارئ بتلك الكتب يجد أنّ الغريب يكون في خفاء المعنى ، وكذا المشكل وإنْ زاد بأنّه قد يكون بخفاء تعالق النظم والتأليف ، وكذا سيكون الانسجام الخفيّ في أنّه غموض التّرابط والتّلاحم . وربما نحتاج الى تأويل او تقدير كي نفهمه .

الانسجام القرآنيّ بين الجلاء والخفاء

أحيانا تتعدد الرؤية بسبب احتمالية الألفاظ المستعملة وتأرجحها بين العموم والتقييد ، فمثلًا سورة آل عمران يجد النبي زكريا عند السيدة مريم (عليه وعليها السلام) رزقًا ، فيستنبئُها عنه فتُخبرهُ أنّه من الله تعالى، فيسترزق الله بأنْ يرزقه غلامًا ، وربما كان المتوقع أنْ يطلب من الله تعالى أن يرزقه كذلك الرزق العظيم ، ولكن بدلًا من طلب كرامة ككرامتها (عليها السلام) طلب غلامًا ، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) ﴾

والحقيقة انه اذا خصصنا كلمة (الرزق) بالرزق (الطعام او حتى المال) فسيكون طلب النبي غريبًا ولا تناسب بين اطراف الكلام الا بتكلف ، ولكن اذا حملناه على الرزق بصورة عامة ؛ فكل شيء من الله هو

(١٤) كنز العمال، المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ، ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني ،تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م : ٢/ ٤٦٢ .

رزق ، اذا حملناه على هذا فهذا يعني انه لم يكن في طلب النبي اية غرابة وانما انسجم مع سالفه تمام الانسجام .

ولتوضيح ذلك أكثر نجدّدُ التأمل في الآية السابعة والثلاثين ، فنجد النبيّ زكريا يسأل الصدِّيقة مريم عن مصدر رزق وجده عندها ، وهذا الرزق به فرادة على الرزق الموجود الى درجة أنْ النبي يتساءل عنه ، والرواية أن رزق الشتاء كان يأتيها في الصيف ورزق الصيف يأتي في الشتاء[١٥] ، وهنا قضيتان :

١ـ ان النبي حين رأى ذلك الرزق الجائي في غير وقته حفَّزه على أنْ يدعو الله ؛ ليرزقه ابنًا وإنْ كان مجيء الولد لِمَن كان في مثل النبي زكريا بالعمر ممّا هو في غير وقته .

٢ـ ان السيدة مريم كانت ملازمة للمحراب ، ومجيء الرزق إليها مما يثير استغرابًا فكيف يجيء وهي مرابطة في محرابها ؟!

هذا وذاك دفع النبي لأن لا ييأس من دعاء الله تعالى والتوسل اليه في الرزق بولد ، فكان الدعاء المبارك وكانت البشارة بالوليد المبارك النبي يحيى (صلوات الله عليه) ؛ فالانسجام تأتّى من حالتين ليستا بالميسورتين ، والجميل في تعزيز الترابط النصيّ أنّ الاستجابة للنبيّ كانت في المحراب أيضًا ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ مثلما كان الأمر مع الصدِّيقة ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ .

ومن هذا نفهم ان الانسجام الجلي هو الأصل ، ولكنّ بُعدَنا في كثير من الأحايين عن منابع تبيين القران أدّى الى ظهور الغريب والمشكل والغامض وحتى الى الانسجام الخفيّ ... ، بل لا شكّ أنّ هذه التهجُّمات التي يدعو اليها أرباب الإلحاد كانت بسبب واضحٍ من غموض اللغة ولجهلهم في فنونها مثلما سنرى لاحقًا .

المبحث الأول : الانسجام الخفيّ على مستوى المفردات او الجملة الواحدة

سعى العلماء في دراساتهم لإيصال القارئ الى توضيح النصّ القرآنيّ وتقريبه ؛ كي تتحقق الفائدة ، وتنعم الأمّة بالهدي القرآنيّ . وتجلّى ذلك في بيان مجموعة الالتفاتات على مستوى المفردة ، التي تتجلّى بالآتي :

الانسجام الخفي على مستوى عود الضمير

اشترط العلماء ضرورة أنْ يتطابق الضمير مع ما يعود عليه[١٦] من جهة الكم والنوع، فمثلًا قولنا (الهلال رأيته) جاء الضمير الهاء مذكرًا لعوده على مذكر (الهلال) ، وهذا هو مطابقة النوع اما الكم فكلا من الضمير وما عاد عليه مفرد ، ولكن هذه القاعدة لم تنسجم مع القرآن الكريم في الآية المباركة : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة : ٦٢) ، وكان المتوقع أنْ يقال (يرضوهما) ، ((**وإنّما وحّدَ الضّمير ؛ لأنّه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله (صلى الله عليه[وآله] وسلم) ، فكانا في حكم مرضي واحد كقولك : إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني ،**

(١٥) ينظر : سعد السعود ، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ ه) ، منشورات الرضي – قم ، ١٣٦٣ هـ : ١٣١ .
(١٦) يُنْظَر : في النّحو العربيّ ـ قواعد وتطبيق ـ : ٩٥ ، وما بعدها .

أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك)) [١٧] . ويمكن أنْ يكون الانسجام الخفي هنا بيْنَ الضمير وما يعود عليه قد فتح بابًا الى لفت الانتباه وجذبه نحو النصّ ؛ فالذهن سيقف أمام اسلوب لم يكن يتوقعه ، فالنص ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ لو جاء الفعل بالصيغة المتوقعة (يُرْضُوهُما) لدلّ على ضرورة الارضاء ، ولكن إفراد الضمير بين شدة ضرورة الارضاء ، وأنّها من نوع غير اعتيادي !

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وأَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ ﴾ (الزمر : ١٧) ، فـ((**المراد بالطاغوت هنا الأصنام ، ولذا عاد الضمير عليها مؤنثًا**)) [١٨] وإن كان هو في الاصل مذكرًا، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾ (النساء ٦٠) . على أن التعبير بالطاغوت أولى من الاصنام ؛ لأن فيه دلالة على تجاوزهم الحدود وشدة زيغهم ، كون الطاغوت من الطغيان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الجمعة : ١١)

والضمير في ﴿ انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ ((**للتجارة . وإنما خصت برد الضمير إليها ، لأنها كانت أهم إليهم ، وهم بها أسر من الطبل ، لأن الطبل إنما دل على التجارة ، عن الفراء . وقيل . عاد الضمير إلى أحدهما اكتفاء به ، وكأنه على حذف ، والمعنى : وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها ، وإذا رأوا لهوا انفضوا إليه ، فحذف إليه ، لأن إليها يدل عليه**)) [١٩]، وظاهر ما في التعبير القرآني من ايجاز وتدليل على شغفهم بالتجارة .

الانسجام الخفي على مستوى التذكير والتأنيث

وهذا القسم اوسع من سابقه استعمالًا ، ويشمل الانماط :

١ ـ وحدة الجنس بين المسند والمسند اليه : اشترط النحويون التطابق بين المبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل من جهة التذكير والتأنيث[٢٠] ، لكن ورد خلاف ذلك في القران ، فجاء تذكير اسم الاشارة ذلك الواقع خبرًا للحروف المقطعة ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) ﴾ (سورة البقرة: ١ـ ٢) ، وعزا بعضهم ذلك الى طواعية أساليب العربية ، ((**فإنْ قلتَ : لمَ ذكّر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة ؟ قلت : لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته . فإن جعلته خبره ، كان ذلك في معناه ومسماه مسماه ، فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير ، كما أجريَ عليه في التأنيث في قولهم : مَنْ كانت أمّك ؟ وإن جعلته صفته ، فإنما أشير به إلى الكتاب صريحًا؛ لأنّ اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له . تقول : هند ذلك الإنسان ، أو ذلك الشخص فعل كذا**)) [٢١] .

فالمفسِّر هنا اوّل الامر بالتطابق او بتأويل التطابق .

ومنه ما جاء في الآية المباركة : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء: ١٤) ،

---

[١٧] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ت٥٨٣هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م:٢/ ٢٠٠ .

[١٨] الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠ هـ) ، ط٣، دار العلم للملايين - بيروت – لبنان ، ١٩٨١ :٣٩٧/٧.

[١٩] مجمع البيان، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) تح : لجنة من العلماء والمحققين المتخصصين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ، ط١ : ١٤١٥ - ١٩٩٥ م : ١٠ / ١٥ .

[٢٠] تفسير الرازي ، فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) ، ط٣ : ٢/ ١٤ .

[٢١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١/ ١٠٨ .

فالنفس مؤنث وهي فاعل للفعل (كفى) المذكر، وانّما جازَ ذلك ؛ لأنّ تأنيث النفس مجازيّ ، ((**وقوله : (كفى بنفسك) الباء فيه زائدة للتأكيد وأصله كفت نفسك وانما لم يؤنث الفعل ؛ لأنّ الفاعل مؤنث مجازيّ ، يجوز معه التذكير والتأنيث**)) [٢٢]، و ((**وجَّهَ بعضهم ذلك بكثرة جرّ الفاعل بالباء الزائدة حتى أنّ إسقاطها منه لا يوجد إلا في أمثلة معدودة ، فانحطتْ رتبته عن رتبة الفاعلين ، فلم يؤنّث الفعل له ، وهذا نحو ما قيل في مرّ بهند**)) [٢٣].

ولا بأس في أنّ المجازيّة هي التي قلّلتْ نسبة التأنيث، وسوّغت مجيء الفعل معه مذكرًا ، ولكن الأقرب أنّ (كفى بنفسك) اشبه بتركيب جامد شاع بهذا الاستعمال وجرى الامر عليه ، ثم ان المطابقة في التذكير والتأنيث جرت مع التراكيب الطبيعية (عاشت نفسك وترقت) أما (كفى بنفسك) فثمة باء جارة ، غيّرت النسق المألوف وأخرجته من الانماط الشائعة .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ لَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [**القلم : ٤٩**]، ((**ولم يقل : تداركته؛ لأنّ التأنيث هنا غير حقيقيّ ، وقد فصل بين الفعل والفاعل ضميرًا لمفعول وهو الهاء في تداركه**))[٢٤].

ومن هنا ندرك أنّ تحقيق الانسجام الخفي قاد الى فتح باب التّأويل ، والبحث عن اصل الكلمة وتأرجحها بين التذكير والتأنيث ، وهذا التحايد لأجل القول بالانسجام وانسيابيته .

وهناك بعض المواضع تحتمل التذكير والتأنيث كالجموع ، فاذا أُوِّلَ الجمعُ بالجماعة فهو مؤنث وإغذا أوِّل بالجميع أو بالجمع فهو مذكر ، وقد جاء في الجموع أنّه ((**كما يعبرَّ عنها بالجَماعة فقد يعَبَّر عنها بالجَمْع والجميع ويدلّ على أن هذا التأنيث ليس بحقيقة أنك لو سمَّيت رجُلا بكِلابٍ أو كعَابٍ أو ظُرُوف أو عُنُوق صَرفْته ولو سميت بعَنَاقٍ أو اتَانٍ لم تصرفه ولذلك جاء " وجاءهُم البَيِّناتُ " وقال تعالى : " إذا جاءكَ المُؤْمِناتُ يُبَايِعْنَك " ولو قلت: قَالَ امرأةٌ لم يستقِمْ ؛ لأنّ تأنيث النِّساء والنِّسوة للجمع كما أنّ التأنيث في (قالتِ الأعرابُ) كذلك فلو لم يؤَنَّث ... قال نسوةٌ لكان حسنًا**)) [٢٥]، وكأنّ تأنيث الجمع أقل درجة من تأنيث المفرد، ومن هنا ذُكِّرَ الفعلُ معه في بعض الاحيان .

وملخص الامر أنّ الانسجام باقٍ بسبب قبول اللغة لذلك الاستعمال بل يمكن القول ان هناك شيئًا اسمه المحايد في العربية ، وهذا وإنْ كانَ مذكرًا في هيئته الا أنّه يحتمل التأنيث ، والقول بذلك يجنبنا كثيرًا من التأويل .

٢ ـ وحدة الحقل الدلاليّ بين المفردات المُقترنة : فالقارئ في سورة الرّحمن : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن : ٦) ، اذا لم يعرف معنى النجم حقيقة ، وحمله على ذلك الذي في السماء وقع بعدم فهم النص لكنه لو عرف بأنّه الشجر الذي لا ساق له[٢٦] ، فعندها يكون المعنى منسجمًا لديه ، لانتماء النجم والشجر الى الحقل الدلاليّ نفسه . والحقيقة أنّ كثيرًا من النّاس لا يفهمون هذه الكلمة فيضيع عليهم التّرابط النّصيّ .

ومثله الامر في الآية الكريمة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ (سورة البقرة : ٢١٩) ، فاذا حُمِل

---

(٢٢) تفسير الميزان، المؤلف : السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة : ١٣ / ٦٥.

(٢٣) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين محمد الآلوسي ، إدراة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي (د.ت): ١٥/ ٣٣.

(٢٤) الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠ هـ) :٣٩٧/٧.

(٢٥)المخصص ، علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان (د.ت) : ٨١/٥.

(٢٦) ينظر: لسان العرب : ١٢/ ٥٦٨ .

العفو على التجاوز والمغفرة لم يَعُدِ الكلام منسجمًا ، ولكن إذا حُمِل على الفضل والزيادة[٢٧] - وهو المعنى المراد - انسجَم في حينها ؛ لانتماء الانفاق والمعنى الاخير للعفو الى الحقل الدلاليّ نفسه .

ومن هذا الباب أيضًا ما جاء عند السّيد مرتضى العاملي في صيغة (رحيم) في البسملة ؛ اذ ذهب الى أنّها للمبالغة مع العلم أنّ جمهور المفسرين ذهبوا الى انّها صفة مشبهة ؛ ((**فاقتران كلمة « الرَّحِيمِ » بصيغ المبالغة يشير إلى أنها صيغة مبالغة مثلها ككلمة : « عَلِيمٍ » ؛ إذ المفروض وجود تجانس فيما بين الصفتين ، سوّغ للذوق أنْ يعقب إحداهما بالأخرى . إذ لو كانت إحداهما للمبالغة دون الأخرى ، فإنّ مستوى الانسجام والتجانس سوف يضعف ، وسيشعر القارئ بوجود نقلة غير طبيعية ، بعيدة عن السهولة بصورة عامة**))[٢٨] .

وأرى انّها لا تكون للمبالغة اذا جاءت مع (الرحمن) فقط ، بل يمكن أنْ تأتي مفردة وتثبت لها المبالغة[٢٩] ، والله هو القائل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الاعراف: ١٥٦) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ (النساء : ١٠٢) ، وهنا نجد تقارنا بين امرين : أحدهما معنوي وهو الحذر والآخر ماديّ وهو الاسلحة ، ((**فإن قلت : كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ ؟ قلتُ : جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي ، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الاخذ وجعلا مأخوذين ، ونحوه قوله تعالى :** ﴿والّذينَ تبوَّءُوا الدّارَ والإيمانَ ﴾ **[الحشر : ٩] جعل الايمان مستقرًا لهم ومتبوأً لتمكنهم فيه ، فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء**))[٣٠] .

ومراعاة الحقل الدلالي جعلت المفسرين يضطربون في تفسير لفظة (الجمل) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الاعراف : ٤٠) فبعضهم فسره بالحبل الغليظ مراعاة لثقب الابرة (سم الخياط) وبعضهم ابقاه على معناه المألوف بأنه ذلك الحيوان المعروف، جاء ((**عن ابن عباس (رضي الله عنه) : إن الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل : يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أنّ قراءة العامة أوقع؛ لأنّ سم الإبرة مثل في ضيق المسلك ، يقال أضيق من خرت الإبرة ، وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر والجمل مثل في عظم الجرم قال * جسم الجمال وأحلام العصافير * ... ، فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدًا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة . وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال : زوج الناقة استجهالًا للسائل ، وإشارة إلى أنّ طلبَ معنى آخر تكلف**))[٣١] .

---

(٢٧) ينظر: الصحاح: الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تح : أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ط٤ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م : ٦/ ٢٤٣٢ .

٢٨ - تفسير سورة الفاتحة ، السيد جعفر مرتضى العاملي ، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م : ٤٦ .

(٢٩) ويمكن أنْ نأخذَ مثالًا يؤيّد ما ذكر من جهة ، ويُبين معنى الانسجام الجليّ من جهة اخرى وذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب : ٤٣) ، فهنا الانسجام واضح جليّ ، فحين ذكر مَنَّ الله على عباده ختم بالرحيم وهو الانسب هنا دون العظيم او المجيد او العزيز وسائر الاسماء المباركة ، بسبب التلاؤم بين الرحمة وما قبلها فرحمة الله لا تقدر بكم كي يكون غير مبالغ بها فهي قرينة السعة والمبالغة التي منحها الله لعباده .

(٣٠)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١/ ٥٦١ .

(٣١)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢/ ٧٨ .

ويصعب الترجيح بين رأيين لصحابيين كبيرين اختلفا في معنى كلمة ، علمًا انهما ليسا اي صحابيين وإنّما هما ابن عباس وابن مسعود (رضوان الله عليهما) ، ولكن الباحث يميل الى رأي ابن مسعود وإن خالف وحدة الحقل الدلاليّ ، اذ يبقى التفسير (الجمل) بالحبل أقلّ قوة من التفسير بالجمل الحيوان لما في الاخير من دلالة قوية على المحال والتأبيد بعدم دخول المستكبرين الجاحدين للجنان ، فضلًا عن أنّ التمثيل بالحيوان ولا سيّما الجمل كان رائجًا آنذاك .

المبحث الثاني: الانسجام الخفيّ بين أطراف الأدوات الرّابطة

الروابط في العربية تخضع الى أسس وضوابط بما يجعل العربيّة لغة علمية مؤطَّرة بقوانين ، والتغيير في تلك القوانين يُخرج بالمتكلم الى غير مقاصد التكلم المألوفة سوى أنّ القرآنَ استعمل ما خالَفَ المألوف في بعض الاحايين لغايات ودلالات ، تنمُّ عن روعة الاعجاز القرآنيّ ، ومن هذه الأدوات :

الفاء : وتعمل على ضمّ ((**الشّيء إلى الشّيء ... متسقًا بعضه في إثر بعض ، وذلك قولك : (مررتُ بعمرٍو فزيدٍ فخالدٍ)**))[٣٢]، وكثيرًا ما تكون للسببية ، وتعمل على تحقيق الانسجام بين السبب والمسبب فتجعلهما كلامًا واحدًا منسبكًا فيما بينه ، إلا أنّ هذه السّببيّة لا تكون واضحة دائمًا ، على النّحو من قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ١٩) ، والنص هنا واضح الانسجام في بدايته ، فلا شكّ أنّ المستيقظين من النّوم يتساءلون عن مدة نومهم ، وهو الذي مع اهل الكهف لكن لما تباينت احتمالاتهم خلصوا الى التسليم بأن الله هو العالم ولكن غاب ذلك النوع من الانسجام حين تحول الامر الى (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ...) ، والفاء تربط بين السبب ومسببه ، فما الذي يربط بين تسليمهم لأمر الله وطلب الطعام؟ وهذا مما اثار المفسرين ؛ اذ ((**كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم ؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك ، فخذوا فيما هو أهمُّ من هذا وأنفع لكم فابعثوا أحدكم * (إِلَى الْمَدِينَةِ)**))[٣٣] .

والذي يراه الباحث أنّهم (عليهم السلام) تعرضوا لأمور عسيرة، اعقبتْها أمور تبعث على الاطمئنان بدءًا من النّوم الى الجوع والرّغبة بالأكل[٣٤] ، فقد كان النّوم الطّويل بعْدَ عناءٍ من الهروب من الملك الظّالم ، وعَقِب ذلك النّوم استيقاظ ، ولا شكّ أنّ النوم المسبوق بالتعب يجعل المستيقظ يشعر بالجوع فكيف اذا كان ذلك النوم قد استمرّ مئات السنين ؟ زد على ذلك أنّ الجوع هو الذي عجّلَ بخروج أحدهم من الكهف لجلب الطعام ومن ثَم كشف الحقيقة المخفية عنهم . فسؤالهم عن مدة نومهم كان الجواب اليه قد تحقق بوساطة الجوع ؛ اذ صار الاخير بوابة لأن يعرفوا كم لبثوا في نومهم على وجه التحديد ، اذ اشترى مبعوثهم بمال من الزمن القديم . فكشف امرهم . فالعلاقة باقية وإنْ كان فيها خفاء .

وأثارتِ الفاء استفهام العلماء أيضًا في سورة الشّرح ؛ لربطها بين كلامين فيهما نوع من التباعد ، قال تعالى في سورة الشرح : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ

(٣٢)كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م : ٢/ ٣٠٤ .

(٣٣) التسهيل لعلوم التنزيل ، الغرناطي الكلبيّ (ت ٧٤١ هـ) ، تح : الدكتور عبد الله الخالديّ ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ م : ١/ ٤٦١ .

(٣٤) ينظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعوديّ (ت ٣٤٦هـ) ، منشورات دار الهجرة إيران – قم ، ط٢ ، ١٤٠٤ ـ ١٣٦٣ ش ـ ١٩٨٤ م : ١/ ٣٤٧ ، ٣٥٧ .

(٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) ﴾ .
فالآية تتحدّث عنْ فضلِ اللهِ على نبيّه بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره وتدهشنا بانتقالةٍ مباغتة الى أنّ مع العسر يسرًا ، والآية لم تتحدث عن عسر فيما سبق إلّا إذا قدرناه ، وتساءل بعض المفسّرين : **((كيف تعلق قوله ﴿ فإنّ مع العسر يسرًا ﴾ بما قبله ؟ قلتُ : كانَ المشركون يُعيّرون رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) والمؤمنين بالفقر والضّيقة حتى سبق إلى وهمه أنّهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ﴿ فإنّ مع العسر يسرًا ﴾ كأنّه قال : خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرا))** [٣٥] ، فسبب النزول أبان ما ضاع عنا ، فعاد النص منسجمًا . وهذا يؤكد اهمية معرفة الاسباب التي دعت الى نزول النص فهي طريق لتحديد الدلالة السليمة .
ومن الإشكالات التي أثارها العلماء : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (يونس : ١١)

وهنا يبدو أنّ ما بعد الفاء ـ في الظاهر ـ بعيدٌ عن الاقتران بما قبلها ، ولـ **((سائل أنْ يسأل فيقول : كيف اتصل قوله : ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ (يونس : ١١) بما قبله وما معناه ؟ وجوابه أنّ قوله : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ متضمن معنى نفي التعجيل ، كأنّه قيل : ولا يعجل لهم الشر ، ولا يقضي إليهم أجلهم فيذرهم في طغيانهم أي فيمهلهم مع طغيانهم إلزامًا للحجة))**[٣٦] ، فـ (لو) وإنْ لم تكن صريحة بالنفي الّا أنّها تضمنته ، فصحّ أنْ يتلوها كلام يدل على السببية بوساطة الفاء .

ومن هذا الباب قوله تعالى من سورة الغاشية : ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)﴾

وهنا الرابط الفاء ، سبق بالاستفهام ، ولكن ما بعدها يختلف في الظاهر عن مضمون الكلام السابق لها ؛ ففي ما سبق تتحدث الآيات عن العاقبة الجميلة التي تلقّاها أهل الجنان ، وتلك الحفاوة العظيمة من علو جنّة لا لغو ولا عناء وانما الهناء بالماء الجاري الجميل طعمًا ومظهرًا ثم التنعم بالسرر (الاسرة الكثيرة) والمرفوعة وغير ذلك من منن ونعم ، الى ان تأتي الدهشة بالنظر الى الابل! فما علاقة الابل فيما قبلها؟

لقد فسرها بعضهم بما يجعل شرخًا في الانسجام ؛ فهي **((في الباطن أمرٌ للمؤمنين بالتّذلل والافتقار إليه ، فقال : انظروا إلى الإبل كيف خلقت ، مع خلقتها وقوتها كيف تنقاد لصبي يقودها فلا يكون لها تحير ولا لها دونها اختيار، فلا تعجز أن تكون لربك كالإبل لصاحبها ...، والله سبحانه وتعالى أعلم))** [٣٧] ، وهذا بعيد نوعًا ما .

وقرن بعض المفسرين بين عظيم خلق الجنان وعظيم خلق المخلوقات الممثل بها، فقد **((ذكر هذه الآيات ليستدلوا على قدرته على البعث وعلى وحدانيته أو لمّا نعَت ما في الجنة عجبَ منه الضّالّون ، فذكر لهم عجائب صنعه ليزول تعجبهم (الإبل) السحاب، والأظهر أنّها من النِّعَم ؛ وخصّها لأنّ ضروب الحيوان أربعة حلوبة وركوبة وأكولة وحمولة وقد جمعت الإبل هذه الخلال الأربع فكان**

---

[٣٥] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٢٦٧ .
[٣٦] تفسير الرازي، فخر الدين الرازي : ١٧/ ٤٩.
[٣٧] تفسير التستري ، سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ :

الإنعام بها أعم وظهور القدرة فيها أتمّ))[٣٨] ، والمفسِّر هنا وإن احتمل أنْ تكون الابل بمعنى السحاب لكن هذا بعيد جدا ، ربما دفعه الى ذلك أنّ السّحاب من الحقل الدّلاليّ الذي تنتمي له الآيات التالية ، وليس بسديد؛ لأنّ وسمها بالسحاب وان انسجم مع الآيات التالية الا انه لم ينسجم مع بناء الآية نفسه فنهاية الآية (خلقت) تنسجم مع الابل لا مع السحاب ، اما الذي ينسجم مع السحاب فهو الانشاء لا الخلق ، قال تعالى : ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾(الرعد: ١٢) ، او الإزجاء ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ (النور: ١٢) ، او غير ذلك ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ (الرّوم : ١٢).

وذهب الشيخ مكارم الشيرازي الى أنّ الحديث في الجنان استدعى الاستعداد له ، فكان في ذكر الجمل تدليلٌ على قدرة الله ، فـ((**بعد أنْ تحدثت الآيات السابقة بتفصيل عن الجنة ونعيمها ، تأتي هذه الآيات لتوضح معالم الطريق الموصل إلى الجنة ونعيمها . فمفتاح المعرفة " معرفة الله ... وتشير أيضًا إلى أنّ قدرة الله المطلقة هي مفتاح درك**[٣٩] **المعاد... ولكن ، لم اختصَّ ذِكْر " الإبل " قبل غيره ؟ للمفسرين حديث طويل في ذلك ، لكن الواضح أنّ الآيات في أول نزولها كانت تخاطب أهل مكة قبل غيرهم ، والإبل أهم شيء في حياة أهل مكة في ذلك الزمان ، فهي معهم ليل نهار ، وتنجز لهم ضروب الأعمال وتدرُّ عليهم الفوائد الكثيرة . أضف إلى ذلك أنّ لهذا الحيوان خصائص عجيبة قد تفرّد بها عن بقية الحيوانات**))[٤٠] ، ويمضي في أنّ فائدتها عامة (اللحم ، اللبن ، الركوب والحمل) اما سائر الحيوانات فتقتصر على فائدة او فائدتين وربما لا ، وللأبل تحمل عجيب حتى أنّها لتبرك على الأرض ، فتوضع الأثقال عليها ثمّ تنهض بها ، وهذا ما لا تستطيع فعله سائر الحيوانات الأهلية . ويسرد مقالا مفصلا بفوائد وامتيازات عجيبة لكن مع كل هذه الفوائد تبقى العلاقة غريبة عن نعم الجنان والذي يراه الباحث ان السرر في الجنان تقارب الابل في انها مرفوعة ((**وفي ارتفاعها جلالة القاعد عليها**))[٤١]، ولا يبعد انه قد ((**جعلت تلك الأسرة من الارتفاع بحيث يتمكن أهل الجنة من رؤية كل ما يحيط بها والتمتع بذلك**))[٤٢] . وقد يقول بعض كيف يرتقى المؤمن عليها مع ارتفاعها ؟!

وهنا يكون بأن السرير ينزل له فاذا ما استلقى عليه ارتفع ذلك السرير ، يقول ابن عباس: ((**فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها**))[٤٣] ، وهنا قد يستغرب العبد إذ كيف يكون ذلك فيأتي الجواب الا يرى الى الابل ؛ فانها تبرك لصاحبها ، فإذا ما ركبها نهضت به .

لكن : وهي تفيد الاستدراك ، والاستدراك ((**هو تعقيب الكلام بنفي ما تُوهِّم منه ثبوتُهُ ، أو إثبات ما يُتوهَّم منه نفيُه**))[٤٤]، أي إنّه يربط بين كلامين يجمع بينهما علاقة التقابل ، فيجعل

---

(٣٨) تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) تح : د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، بيروت - دار ابن حزم ، ط١: ١٤١٦ / ١٩٩٦م: ٣/ ٤٤٧ .
(٣٩) كذا والصواب : ادراك .
(٤٠)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٠/ ١٥٩ .
(٤١)الميزان : ٢٠/ ٢٧٤ .
(٤٢)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٠/ ١٥٥ .
(٤٣)معالم التنزيل فى تفسير القرآن (تفسير البغوي)، البغوي (ت٥١٠هـ) ، تح : خالد عبد الرحمن العك، بيروت - دار المعرفة : ٤/ ٤٧٩ .
(٤٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني في شرح ألفية ابن مالك ، ومعها شرح الشواهد للعيني ، الصبان محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ) ، تح : محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ١/ ٤٢٣ .

الكلام بعضه آخذًا ببعض ، وقد التفت المفسرون الى خفاء هذه العلاقة في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ (الاعراف : ١٤٣) فما بعد (لكن) لم يأتِ متوقَّعًا ؛ فالنبي موسى (عليه السلام) يطلب شيئًا ويُفاجأ بشيء آخر ، ((**فإنْ قلتَ : كيفَ اتّصل الاستدراك في قوله (ولكن) بما قبله ؟ قلتُ : اتّصل به على معنى أنّ النّظر إليَّ محالٌ فلا تطلبه ، ولكن عليك بنظرٍ آخرَ وهو أنْ تنظرَ إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبتَ الرؤيةَ لأجلهم كيف أفعل به؟ وكيف أفعله دكًّا بسبب طلبك الرؤية ، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من علم أثره ، كأنّه (عز وعلا) حقق طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله - وتخر الجبال هدا أنْ دعَوا للرحمن ولدًا (فإن استقر مكانه) كما كان مستقرًا ثابتًا ذاهبًا في جهاته (فسوف تراني) تعليق لوجود الرؤية موجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدركه دكًّا ويسويه بالأرض ، وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ، ألا ترى كيف تخلّص من النّظر إلى النّظر بكلمة الاستدراك ، ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية : أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني**)) [٤٥] . وهذا تعليم من البارئ على أنْ يكون التفكير فيما خلق الله لا في ذاته تعالى . فعادة المرء أنّه يقرن الأمور بما يراه فإذا ما فكر في ذات الله انجرّ لخزينه الفكري القاصر وعندها يقع في الاشكال المحظور ، ومن هنا تباين الجواب في النص القرآني رغبة في توجيه الانسان وجهة صحيحة .

انّما : وهي بالأصل (إنّ) وقد لحقتها (ما) زيادة في التوكيد ، فصارت (انّما) ، التي هي من الأدوات الرّابطة ، لكن استشكل بعضٌ على ربطها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (فاطر ١٨) ، فما قبل (انما) يبيِّنُ أنّ الإنسان لا يتحمل ذنب غيره في جميع الأحوال ، أما ما بعدها فيبين أنّ الانذار ينحصر بالخاشين ربّهم المقيمين الصّلاة المؤدين الزّكاة ! إذ ما العلاقة التي دعت الى ترابط هذين الطرفين ، ولتوضيح هذا الاشكال يرجع الزمخشري الى سابق النص ، ((**فإن قلت : كيف اتصل قوله إنّما تنذر بما قبله ؟ قلت : لمّا غضِبَ عليهم في قوله - إنْ يشأْ يُذهبكم - أتبعه الانذار بيوم القيامة وذِكْر أهوالها ، ثم قال إنما تنذر ، كأنّ رسول الله (صلى الله عليه[وآله]) ولما أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل إنما تنذر**))[٤٦] ، وهذا يعني توسيع الرؤية على مساحة النص في تحديد انسجامه .

مع : وتأتي للاصطحاب الزماني[٤٧] ، لكن جاءت في القرآن لاصطحاب عجيب ، وهي أنّها عقدت التصاحب بين اليسر والعسر في ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ، ((**فإن قلت : إنّ (مع) للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر ؟ قلتُ : أراد أنّ الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب ، فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمُقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب**)) [٤٨] ، وفي هذا دلالة واضحة على رحمة الله الواسعة ، نسأله أنّ يمُنّ علينا بيسره . وقد كشف الامر عن بقاء الأمل مهما كان الخطب المُلِمُّ بالبشر .

المبحث الثالث : الانسجام الخفي بين الجمل المتوالية

إنّ تعاقب الجمل في القرآن يخضع لنظام معجز في التنظيم ، فكل جملة تستدعي التي بعدها ، حتى اذا

---

(٤٥)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٢/ ١١٤ .
(٤٦)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣/ ٣٠٦ .
(٤٧) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح : د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ط١ ، ١٣٧٦هـ: ٤٣٩/١ .
(٤٨)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٢٦٧ .

لم ترتبطا بروابط ، وقد يظهر في القرآن ما ظاهره خلاف ذلك ، وما ذلك إلا لأنّ القرآن غنيٌّ بمفرداته العميقة وأساليبه الدقيقة التي كثيرًا ما تضيع على الفكر السّطحيّ ، وقد رويَ ((**عن جابر قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : يا جابر إنّ للقرآن بطنًا وللبطن ظهرًا ، ثم قال : يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه ، إنّ الآية لتنزل أولها في شيء وأوسطها في شيء ، وآخرها في شيء ، وهو كلام متّصل يتصرف على وجوه**))[٤٩] ، والامام هنا يوعز الى أمور :

١ـ إنّ القرآن الكريم ليس كأيّ كتاب، بل له ظاهر مفهوم وغامض يعسر فهمه على الرجال .

٢ ـ إنّ اجزاء الآية قد تبدو متنافرة الموضوعات ، ولكنها في حقيقة الامر متصلة متلاحمة .

٣ ـ إنّ القول بأنّ القرآن يتصرف على وجوه يدلّلُ على تعدّد قراءاته بحسب الأزمان ، وهذا ممّا جعله معجزة الإسلام الخالدة .

٤ ـ إنّ الإمام لا يعني قطع الأمل بفهم القرآن ، وانّما ضرورة الرجوع الى أهل الشّأن المترجمين له بصورته الصّحيحة . وعدم التسرع بأحكام تجانب الحقيقة .

ومن الامثلة التي اثارت العلماء في ترابطها وانسجامها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (القصص : ٨٥) ، وهنا استشكل العلماء على ما بعد (قل) ، ((**فإنْ قلتَ : كيف اتصل قوله تعالى (قل ربي أعلم) بما قبله ؟ قلت : لما وعد رسوله الردّ إلى معاد . قال : قل للمشركين ربّي أعلم من جاء بالهدى : يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم**))[٥٠] ، فالمشركون بسبب جهلهم ظنوا أنّ الدنيا نهاية الأمر وأنّها نهايات الحسابات لكن القرآن الكريم طلب من نبيه أنْ يبين لهم أنّ هناك حياة أخرى ، يثاب فيها المحسن ويعاقب المجرم . إنّ الانسجام تحقق بين طرفي الكلام بالتأكيد على قضية المعاد وما يحدث في المعاد ، فالقرآن لا يريد من الانسان أن يكون عبثيًّا ، يقصر طرفه على الدنيا ، بل يريده العيش بروحيّة الإيمان دنيا وصولًا للآخرة .

وقريب منه ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ (الرعد : ٣٦) ، فالكتابيُّون بعضهم مقرٌّ بما جاء به النبيّ ، وقسْم منهم ينكر بعضه ، وهذا المضمون ارتبط به كلام آخر جديد بوساطة ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ ، وفحوى الكلام الاخير اقرار النبي بإيمانه بربه وربما تُشعر بنوع من تباعد الكلامين ، وهذا مما أثار دهشة المفسرين ، يقول الزمخشري : ((**فإنْ قلتَ : كيف اتصل قوله (قل إنما) بما قبله ؟ قلتُ : هو جواب للمنكرين معناه : قل إنما أمرتُ فيما أنزل إليّ بأنْ أعبدَ الله ولا أشركَ به ، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده ، فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأنْ لا يُشرك به ـ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أنْ لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا**))[٥١] ، فإنكار بعض أحزابهم لبعض القران هو كفر به تعالى وجحود له تعالى وخروج عن عبادته . فالعلاقة بين الله تعالى وكتابه متلازمة ، وفي هذا العدول حجة قوية على المنكرين من اهل الكتب ؛

---

(٤٩)تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ) ، تح : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران: ١/ ١١.

(٥٠)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣/ ١٩٦ ، وينظر: البحر المحيط: ٧ / ١٣٢

(٥١)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٢/ ٣٦٢ .

فالقران لم يرد على نكرانهم اياه ، اذ لم ينعتهم بجحوده بل نعتهم بجحود الله ، فادعاؤهم اتباع الله يردّه عليهم فعلهم .

ومن ذلك قوله تعالى من سورة الصافات : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ ، وهنا اذا كانت السماء مُزيّنة بما يقمع الشياطين المسترقين السمع ، فرجمهم كان بسبب فعلهم التّجسّسيّ هذا ، وعلى ضوء هذا فما الغاية من ذكر (لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ...) ، و((**كيف اتصل بما قبله ؟ قلت : لا يخلو من أنْ يتصل بما قبله على أنّ يكون صفة لكل شيطان أو استئنافًا ، فلا تصح الصفة ؛ لانّ الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له ، وكذلك الاستئناف ؛ لأنّ سائلًا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأُجيبَ بأنهم لا يسمعون لم يستقم ، فبقيَ أن يكون كلامًا منقطعًا مبتدأ اقتصاصًا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنّهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك ، إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة، فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب**)) [٥٢] ، فالفعل الملائكيّ الاستباقيّ يجعلهم عاجزين عن تلقُّف الاخبار السماويّة .

ومن هذا الباب قوله تعالى من سورة غافر : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾

وهنا انتقالة غير مألوفة في الظاهر بتحول الحديث من المجادلين وكبرهم الى خلق السماوات والارض وأكبريته ، وتوضيح الأمر أنّه ((**إنْ قلتَ : كيف اتصل قوله (لخلق السماوات والأرض) بما قبله ؟ قلت : إنّ مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها ، فحُجُّوا بخلق السماوات والأرض ؛ لأنّهم كانوا مُقرين بأنّ الله خالقها بأنّها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين ، فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر ، وهو أبلغُ من الاستشهاد بخلق مثله**)) [٥٣] . وهنا اتّضح البناء المتماسك المُدعم بقوة التعبير ، ولو كان آخر الكلام مبتنيًا على أوله بالطّرح نفسه لكان النص مفهومًا بسبب وضوح انسجامه ولكن الغرض ليس في وضوح الكلام بقدر ما هو بناء من تعاضد الشّكل والمعنى في سبيل التّأثير بالسّامع . ومن هذا والذي قبله نجد أنّ كثيرًا من الانسجامات الخفية كان الطرف الثاني فيها خطابًا للقلوب قبل الأسماع .

ومن هذا الباب ما جاء في سورة التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ ، والاشكال المطروح ((**كيف تعلق** ﴿يا أيّها الذينَ آمنُوا ﴾ **بما سبق وهو قوله :** ﴿ يا أيُّها الذينَ كفَروا ﴾ **(التحريم : ٧) ؟ فنقول : نبههم تعالى على دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في هذا اليوم ، إذ في ذلك اليوم لا تفيد ، وفيه لطيفة : وهي أنّ التنبيه على الدفع بعد الترهيب فيما مضى يفيد الترغيب بذكر أحوالهم والإنعام في حقّهم وإكرامهم**)) [٥٤] .

وليس الباحث مع هذا التخريج ؛ اذ يمكن أنْ نعود للوراء قليلًا ، فسنجد الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

([٥٢])الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٤/ ٣٣٦.

([٥٣])الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢/ ٤٤٣ ، وينظر: تفسير البحر المحيط: ٧ / ٤٥٢ .

([٥٤])تفسير الرازي: ٣٠/ ٤٨ .

مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) ﴾ ، ونهاية الآية السّادسة تدلُّ على انتشار الملائكة الغلاظ بصورة رعب يتولون مجازاة الكافرين على سالف إجرامهم ، وهؤلاء الكافرون كعادة المخطئ يقومون بالاعتذار، فيأتي الرد ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾ ، وبعد الاستطراد اللطيف يعود الحديث الى المؤمنين مرة أخرى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...﴾، ولكن المفسر علق النص المتن (الآية الثامنة) بالنّصّ المُستطرَد به (الجملة المعترضة) ولم يُؤلَفْ مثل هذا! ولو أخذنا به لوقعنا في مثل : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ... ﴾ (سورة يونس : ٢ــ ٣) ، فالقرآن أبانَ بعثة النبي الى الناس ثم اعتراض الكافرين بأنّه ساحر ، ثم يعود الكلام الى سالفه الأول ببيان الرسالة السماوية التي جاء بها النبي بخلق السماوات والارض ولا يمكن تعليق ذلك بقول الكافرين؛ لأنّه ليس لهم ولا منهم ، ولو كان لهم لما كانوا كافرين ، بل كانوا مؤمنين مقرين بالله تعالى .

وامر الاستشكال على القران الكريم بالتشكيك بانسجامه هو أمر قديم عالجه العلماء القدماء بدقة وبراعة وكشفوا ضرورة أنْ يكون الانسجام مصيبًا الواقع المُقال فيه النّصّ ، فمثلًا في قوله تعالى: ((**حاكيًا عن عيسى (عليه السلام) :** ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ **[المائدة : ١١٨] ... فإنْ قيل : فلِمَ لم يقلْ : (وإنْ تغفرْ لهم فإنّك أنتَ الغفورُ الرحيمُ) ؟ فهو أليق في الكلام ، ومعناه من العزيز الحكيم ؟**

قلنا : هذا سؤال من لم يعرف معنى الآية ؛ لأنّ الكلام لم يخرج مخرج مسألة غفران ، فيليق بما ذكر في السؤال ، وإنما ورد على معنى تسليم الأمر إلى مالكه . فلو قيل فإنك أنت الغفور الرحيم ، لأوهم الدعاء لهم بالمغفرة ، ولم يقصد ذلك بالكلام على أنّ قوله " العزيز الحكيم " أبلغ في المعنى وأشدّ استيفاء من " الغفور الرحيم " وذلك أنّ الغفران والرحمة قد يكونان حكمة وصوابًا ، ويكونان بخلاف ذلك ، فهما بالإطلاق لا يدلّان على الحكمة والحسن . والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة ، وإذا كانا صوابين . ويزيد عليهما باستيفاء معانٍ كثيرة ؛ لأنّ العزيز هو المنيع القادر الذي لا يذلّ ولا يضام ، وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم البتة . وأما الحكيم فهو الذي يضع الأشياء مواضعها ، ويصيب بها أغراضها ، ولا يفعل إلا الحسن الجميل ، فالمغفرة والرحمة إذا اقتضتهما الحكمة دخلتا في قوله العزيز الحكيم ، وزاد معنى هذه اللفظة عليهما من حيث اقتضاء وصفه بالحكمة في سائر أفعاله ، وإنما طعن بهذا الكلام من الملحدين من لا معرفة له بمعاني الكلام . وإلا فبين ما تضمنه القرآن من اللفظة وبين ما ذكروه فرق ظاهر في البلاغة واستيفاء المعاني والاشتمال عليها)) [٥٥] .

فالنّصّ انسجم لتحقيقه المعنى المراد بإصابة الواقع ، وبانَ به أنّ وراء كل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم أسرارًا عظيمة ينبغي التنقيب عنها .

ومن الآيات ذات الدلالات الخفية في الترابط قوله تعالى من سورة الاسراء : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) ﴾ ، فاستفهامهم بالهمزة كان تعيينيًّا والمعهود أنّ الجواب عليه بـ (نعم) او (لا) ، ولكن القرآن عدل بما لم يتوقعوه فكانت دهشة الجواب!

لقد ركزوا على ((**كيف نحيا ونبعث ونحن عظام بالية ؟ قال سبحانه لنبيّه : قل لهم : لو كنتم صخرا وفولاذًا لأعادكم مرّة ثانية ، فكيف بالعظام البالية ؟... بل افترضوا في تصوركم أنكم أقوى وأصلب من**

(٥٥) تنزيه الأنبياء : ١٤٧ ــ ١٤٨ .

الصخر والحجارة والحديد والفولاذ ، ومع هذا فإنّه يعيدكم ويبعثكم))[٥٦]،
يلحظ أنّ الانسجام الخفيّ قد يكون في تباين المألوف الشائع لما هو اقوى منه تأثيرًا ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة : ٢١٥)
فهنا السؤال ﴿ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ وهو سؤال عن نوع المُنفَق ؟ هل هو مال ام طعام ام ماذا ؟ ولكن القران غيّرَ بالقضية وصرف النظر عن ماهية المُنفَق ؛ فالأمر متروك لصاحب الانفاق وعدل القرآن الى بيان الاصناف التي تستحق الانفاق ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ ، وختم بإطلاق فعل الخير؛ اذ فتح الباب على مصراعيه لمن اراد فعل أي خير ، فالله به عليم .
المبحث الرابع : الانسجام الخفي بين الجمل غير المتوالية

لا يقتصر الانسجام بالتلاؤم بين الاجزاء النصية المتقاربة ، بل حتى على مستوى النّصوص المتفرقة علما أنّ هذا الاشكال المُثار في تناقض نصوص من القران هو الاكثر تداولًا عند المشتبهين والمشككين ، ولا أشكّ أنّ ما حدث مع الفيلسوف الكندي كان من هذا الباب ، فقد روي ((**انّ إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه ، أخذ في تأليف تناقض القرآن ، وشغل نفسه بذلك ، وتفرد به في منزله وأنّ بعض تلامذته دخل يومًا على الإمام الحسن العسكري فقال له أبو محمد (عليه السّلام) : أمّا فيكم رجلٌ رشيد يردع أستاذكم الكنديّ عما اخذ فيه من تشاغله القرآن ، فقال التلميذ : نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ؟! فقال له أبو محمد : أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك ؟ قال : نعم ، قال : فصرْ إليه وتلطّفْ في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها فإنّه يستدعي ذلك منك، فقل له : إنْ أتاكَ هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أنْ يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنّك ذهبتَ إليها ؟ فإنّه سيقول لك إنّه من الجائز ؛ لأنّه رجل يفهم إذا سمع ، فإذا أوجب ذلك فقل له : فما يُدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبتَ أنتَ إليه فيكون واضعًا لغير معانيه . فصار الرجل إلى الكنديّ وتلطف إلى أنْ القى عليه هذه المسألة فقال له : أعدْ علي ، فأعادَ عليه فتفكّرَ في نفسه ورأى ذلك مُحتملًا في اللغة وسائغًا في النظر فقال : أقسمتُ عليك إلا أخبرتني من أين لك ؟ فقال : انّه شيء عرَضَ بقلبي فأوردتْهُ عليك ، فقال : كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة! فعرِّفني من أين لك هذا ؟ فقال : أمرني به أبو محمد فقال : الآن جئت به ، وما كان ليخرجَ مثل هذا إلا من ذلك البيت ! ثم إنّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه))** [٥٧] .

وقد زاد التشكيك في هذا الباب في الوقت المعاصر ، يقول بعضهم في مقال سمّاه (٤٠ تناقض في القرآن) : ((**ينكر القرآن وجود أي متناقضات في نصه: "أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا" (النساء ٤: ٨٢). على الرغم من ذلك، توجد فيه متناقضات عديدة**)) [٥٨] .

ولا ادري كيف يدعي شخص أنّه اكتشف التناقض في القران؟ وينزل عنوانَ مقالٍ هو بالأصل خطأ نحوي ، فكان الصواب ان يقول : (٤٠ تناقضا) ؛ لأنّ تمييز العدد هنا لا يأتي الا منصوبًا .

---

(٥٦)التفسير المبين، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠) ، مؤسسة دار الكتاب الإسلام ، ط٢ ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م .
(٥٧)مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب (٥٨٨ هـ) ، مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ، تح : لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م : ٣/ ٥٢٥ .
(٥٨)اسم المقال : ٤٠ تناقض في القرآن، سامي المنصوري ، الحوار المتمدن-العدد: ٤٣٢٣ - ٢٠١٤ / ١ / ١ - ١٥:٣٣ ، المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني على الرابط
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=393871&r=0

واغلب هذه الاشكالات يعود الى جهل في فهم مفردات العربية ، فمثلًا من إشكالات صاحب المقال المذكور : ((**يحدثنا القرآن عن الذين سيذهبون إلى الجنّة، فيقول في سورة الواقعة ٥٦: ١١-١٤:** ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ **تناقض هذا سورة الواقعة ٥٦: ٣٤-٤٠ عندما تقول:** ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ **هل (قليل) أم كثير (ثلة) من الآخرين سيذهبون إلى الجنة؟**)).

وكم هو عجيب هذا الاشكال! فسورة الواقعة قسّمت الناس الى ثلاث طبقات : المقربين واصحاب اليمين واصحاب الشمال ، وكل طائفة لها امتيازاتها ، ولكن الجاحد صاحب الاشكال خلط بين المقربين وأهل اليمين ؛ كي يسوغ لنفسه ايجاد اشكال ! ويتبجح به تبجح الجاهل المركب .

ومن مواضعه أيضًا : ((**تخبرنا سورة الأنبياء ٢١: ٧٦ والصفت**[٥٩] **٣٧: ٧٧ أن نوحا وعائلته نجوا من الموت في الطوفان. تناقض هذا سورة هود ١١: ٤٢-٤٣ إذ تخبرنا أن أحد أبناء نوح قد هلك في الطوفان؟**)) .

وهو يشير الى قوله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (الانبياء : ٧٦) ، فهذا النص قد يتعارض عنده مع الآية المباركة : ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤٣)

والحقيقة ان ابن نوح (عليه السلام) وإنْ كان ولدًا صلبيًّا لأبيه ولكن هذا لا يغلّب على العلاقة الدينية بين طرفين فإنّ الاسلام أعطى للرابطة الدينية أهمية وغلبها على الرابطة القبلية والأسرية ، فالأبوة الروحيّة هي الاولى من الابوة النسبية ، ومن هنا لم يكن ابن نوح من اهله الناجين ، لذا ((**نفى أنْ يكون من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم ؛ لأنه (ﷻ) كان وعد نوحا (عليه السلام) بأن ينجي أهله في قوله :** ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ [هود : ٤٠] ، **فاستثنى من أهله من أراد إهلاكه بالغرق ، ويدل على صحة هذا التأويل قول نوح** (عليه السلام) : ﴿ إِنَّ ابنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ **وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان**))[٦٠] . فابنه قد سبق عليه القول ، ويمكن تفسير الآية نحويًّا فنقول انه لم يقل (واهله كلهم) ؛ كي تفيد الاحاطة والشمول لجميع الاهل ، بل تركها مهملة والتوكيد بـ(كلّ) يحصر دلالة الكلام في العموم ، وعدمه يرفع لزوم حصرها ، والأول يسميه المناطقة بالقضية المحصورة ، والثاني بالقضية المهملة[٦١] .

وهذا الامر موجود في القران الكريم ، فحين قال : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر : ٣٠) اكد سجود جميع الملائكة ولكن في : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ (آل عمران : ٣٩) كان المنادي هو جبريل فقط ومع ذلك عبر عنه بالملائكة .

ولا نريد الاستطراد وراء امثلة الادعائيين على القران الكريم ، فكل ما في الامر انهم جاهلون بفنون العربية وبمعاني كلماتها ، وما نجده عند احدهم نجده عند غيره وكأنهم توارثوا الاخطاء كتوارثهم الجهل والتجاهل .

ومن هذا وذاك يتبين أنّ هناك ادوات لتوضيح خفاء الانسجام القرآنيّ ، وهذه الادوات قد غابت على الملاحدة ، فكان تدهور فكرهم وانصياعه وراء الوهم .

---

(٥٩) كذا ، والصواب: والصف ، وهو خطأ مطبعي .
(٦٠) تنزيه الأنبياء : ٤٣ .
(٦١)ينظر : المنطق للمظفر : ٢/ ١٢٣ – ١٢٤ .

ان اول شيء على الباحث في استجلاء التماسك في الانسجام الخفي ان يكون فاهمًا بأساليب العربية ودلالاتها مع الالمام بأسباب النزول وزمن نزول الآية ، فمثلًا في قصة العصا عند النبي موسى مرت بمراحل ، فمرة تحولت عندما ذهب ليأتي لأهله بقبس من النار، فكان أنْ جاء بقبس من نور ؛ إذ وهبه الله المعجزات ومنح العصا التحول :﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه: ٢٠) ، وعبر عنها القران في هذه المرحلة بالجان ، أي قرنها بابن الحية السريع الحركة وذلك في سورة النمل: ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ ، ولا تناقض في ذلك فهي هنا ايضًا حية ، ولم تخرج عما وسمَها به القرآن سالفًا ، فلم يقل القران فاذا هي جان كي تكون قد صارت حية وابن حية بالوقت نفسه ، بل قال : ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ واداة التشبيه تفيد المقارنة لا المطابقة وانت حين تقول : زيد كأنه اسد لا يعني انه صار اسدًا حقيقة ، بل اتّسم بالشجاعة والقول انّها صارت كأنّها جانّ لا يعني أنّها صارت ابن حية وانّما اتسمت بالسرعة الموجودة فيه . ففي هذه المرحلة لم تخرج العصا عن أنْ تكون حية ، اما مرحلة الالتقاء بفرعون فلم تتحول الى حية بل الى ثعبان ، جاء في سورة الشعراء : ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) ﴾

اما في مرحلة التحدي فتطورت اكثر ، وصارت اكثر رعبًا ، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾(الاعراف : ١١٧) ، وقد أضمر القران ماهيتها لعظم ما تحوّلت له . ومثله في سورة الشعراء : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)﴾ ،

ولكن نجد من يغضّ الطرف عن تحولات المراحل الى رمي القرآن بما ليس فيه ، فنجد صاحب المقال السالف، يقول ((**نجد في الموقف الواحد وفي القصة الواحدة ، وصفين مختلفين كل الاختلاف لشيء واحد ، ففي (النمل:١٠):** ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾**! أما في (القصص:٣١)** ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ !..)) .

لقد اهمل ذلك المدعي ادوات اللغة في الكشف عن مضامينها فجاء برأي ساذج مثله .

ويجدر بالقارئ ان يكون على معرفة وافية بتفاصيل الامور كي يحكم بصواب ، فالنبي عيسى صحيح انه الان قد رفع ولم يمت ولكنه سيعود في آخر الزمان ويحيى بصورة طبيعية الى حين وفاته ، لكن الجاهل بسبب قصر رؤيته فيحمل القرآن ما ليس فيه **فيقول : ((يقول الله في سورة مريم علي لسان ابنها " والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا " وهذا اثبات لموت المسيح ولكنه يقول في سورة النساء "وما قتلوه وماصلبوه بل رفعه الله اليه " ١٥٧))** [٦٢] ، فالقول (وهذا اثبات لموت المسيح) اقول هذا ليس اثباتًا ، وانما دليل على أنه سيعود الى الارض ويموت ، ففي آية سورة النساء ثبت استمرار حياته ورفعه الى السماء لكن في سورة مريم ثبت انه سيموت ، ولا يكون هذا ما لم يعد للأرض ويموت فهي المصدر للفناء لا السّماء .

والعجيب أنّ مثل هذا الملحد وغيره يرفع راية التحدي وهو لا يمت الى المعرفة بصلة.

هذا وتعد معرفة المقصد للنص مهمة في تحديد انسجامه ، فالآية : ((﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ **[القصص: ٧٨] منسجمة تمام الانسجام مع الآية من سورة الرحمن إذ تقول :** ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ **[الرحمن : ٣٩] هنا ينقدح سؤال آخر ، وهو كيف ينسجم هذا التعبير في القرآن مع قوله تعالى :** ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ **[الحجر: ٩٢] . ويمكن الإجابة على هذا السؤال**

([٦٢])**اقوى ١٠ تناقضات موجودة في القرآن " للمدعو :انونيموس على الرابط**
https://www.il7ad.org/vb/showthread.php?t=585 .

عن طريقين :
الأول : إن المواقف في يوم القيامة متعددة ، ففي بعضها يقع السؤال والجواب وفي بعض المواقف لا حاجة للسؤال ؛ لأنّ الحجب مكشوفة ، وكل شيء واضح هناك .
الثاني : إنّ السؤال عادة نوعان . . " سؤال تحقيق " و " سؤال توبيخ " فليس في يوم القيامة سؤال للتحقيق ؛ لأنّ كل شيء هناك مكشوف عيانًا وواضح دون لبس . ولكن يوجد هناك سؤال توبيخ وهو بنفسه نوع من العذاب النفسي للمجرمين . وينطبق هذا تمامًا في ما لو سأل الأب ابنه غير المؤدب : ألم أقدمْ لك كل هذه الخدمات . . . أ هذا جزاء ما قدمت ؟ ! في حين أنّ كلا من الأب والابن يعرفان الحقيقة ، وأنّ قصد الأب من سؤاله لابنه هو التوبيخ لا غير !))[٦٣] .
خلاصة القول أنّ القرآن منسجم تمام الانسجام سواء أكان على المستوى الجليّ ام على المستوى الخفي مع أنّ الاخير تسمو فيه مقاصد روحية تبعث على تهذيب النفس وتنمية الفكر .

الخاتمة
بعد تلك المغامرة في اجهاد التأمل بنظام القران والتمعن بمفرداته واساليبه والبحث عن خفاء انسجام طائفة من مواضعه ، وصل الباحث الى مجموعة من النتائج والتوصيات ، اما النتائج فمنها :
١ ـ كشف الباحث عن أنّ الانسجام طبقات ، بعضه يُفهم بسهولة وبعضه يحتاج الى تأمل واجهاد نظر . ونستلهم من هذا أنه حين نقرأ القرآن نقرأ بتروٍّ وتمهل ، متنعمين بمراميه وجمالياته عاكسين ذلك على وجداننا وسلوكنا .
٢ ـ افاد المفسرون من الانسجام في الكشف عن الدلالة التفسيرية الاقرب من غيرها بإبعاد الوجه الذي لا ينسجم مع بناء النص .
٣ـ اثار الانسجام الخفي اشكالية واضحة بين المفسرين في تحديد المعنى وقد وظّفه المتربصون في تسويغ جحودهم ، من دون أي إنصاف جهلًا وتجاهلًا .
٤ ـ هناك دراسات في التراث تنسجم مع مفهوم الانسجام على النحو من المشكل والغريب ، وهناك دراسات تتحد معه بفكرة (الخفي) اي غير الواضح في الظاهر وهذه الدراسات ما بين قرآنيّة وأصوليّة .
٥ ـ اعرب البحث عن تنوع انماط الانسجام الخفي ما بين مفردات متوالية وجمل ترتبط بأدوات او لا ، او جمل تأتي متوالية او متناثرة .
٦ ـ ان الانسجام الخفي في المفردات دل على سعة اساليب العربية وطواعيتها للتصرف بحسب المقاصد .
٧ ـ صحيح انّ للأدوات الرابطة دلالات قارّة تجعلها تجري بنسق متقن الا أنها قد تخرج عن ذلك النسق بربطها بين اطراف غير معهودة ولا سيما الاداة الفاء .
٨ ـ فتح الانسجام الخفي للذهن التفكير في امور غير معهودة ، والهدف من ذلك بسط الرؤية له على امور ذات فائدة عظيمة ، تصبُّ في تحقيق السعادة له .
٩ ـ بسبب عدم توسيع رؤية بعض المفسرين على المساحة النصية والاقتصار على جزء منها ، قادت جهودهم احيانا ـ الى اعطاء احكام مجانبة للصواب ..
١٠ ـ مثّل جهل الملحدين ومنهجهم في قطع النصوص عن سياقتها سببًا كبيرًا لإصدار احكام رعناء ، ومن هنا باتت ضرورة التسلح بالمعرفة تحذرًا من الخائطين بالماء العكر .

([٦٣])الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٢/ ٢٩٥ .

وبعد هذه الباقة من النتائج يوصي البحث بدراسة موضوعات يراها مهمة ، تبلورت لديه في اثناء البحث :

١ ـ اثر الانسجام في تفسير القرآن عند المفسرين
٢ ـ الانسجام النصي عند الشيخ مكارم الشيرازي
٣ ـ ملامح علم اللغة النصي عند السيد جعفر مرتضى العاملي في جهوده التفسيرية
٤ ـ ادعاءات التناقض على القران الكريم في شبكة الانترنيت بين الجهل والتجاهل .

وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين وصلى الله على النبي وآله الطاهرين .

قائمة المصادر والمراجع

- اساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار ومطابع الشعب ــ القاهرة ، ١٩٦٠.
- آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي النجفي(ت ١٣٥٢ هـ) ، مطبعة العرفان – صيداء ، ١٣٥٢ ـ ١٩٣٣ م
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (د.ط) ، (د.ت).
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ الشيخ علي محمد معوض ، لبنان/ بيروت ـ دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١م.
- التسهيل لعلوم التنزيل ، الغرناطي الكلبيّ (ت ٧٤١ هـ) ، تح : الدكتور عبد الله الخالديّ ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ م .
- تفسير التستري ، سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ .
- التفسير الحديث ، محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤ هـ) ، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ م .
- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) ، ط٣ ، (د.ط) ، (د.ت) .
- تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) تح : د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، بيروت ـ دار ابن حزم ، ط١: ١٤١٦ / ١٩٩٦م.
- تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ) ، تح : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران، (د.ت)
- التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠ هـ) ، ط٣، دار العلم للملايين ـ بيروت – لبنان ، ١٩٨١ .
- التفسير المبين، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠) ، مؤسسة دار الكتاب الإسلام ، ط٢ ، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م .
- تفسير سورة الفاتحة ، السيد جعفر مرتضى العاملي ، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ م .
- تنزيه الأنبياء ، علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ــ لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩ هـ ــ ٢٠٠٨م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني في شرح ألفية ابن مالك ، ومعها شرح الشواهد للعيني ، الصبان محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ) ، تح : محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
- الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) ، مدرسة الإمام المهدي (ع) ، قم ، ط١ ، ١٤٠٧.

- رسائل الشريف المرتضى ، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) ، تح : السيد أحمد الحسيني ، إعداد : السيد مهدي الرجائي ، مطبعة سيد الشهداء - قم ، ١٤٠٥ هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين محمد الآلوسي ، إدراة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي (د.ت).
- زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، تح : محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
- سعد السعود ، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ ه) ، منشورات الرضي – قم ، ١٣٦٣ هـ.
- الصحاح ، الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
- العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تح: الدكتور مهدي المخزومي – الدكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٠ .
- في النَّحو العَرَبِيّ (نقد وتوجيه) ، د. مهديّ المَخزوميّ ، دار الرّائد العَرَبِيّ ، بيروت ـ لُبْنان ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
- كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م
- كتاب المكاسب، الشيخ الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ) ، تح : لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، المؤتمر العالميّ بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري ـ قم ، ط١، ١٤٢٠.
- كشاف الفهارس، السيد محمد باقر حجتي ، د. سيد محمد باقر حجتي ، انتشارات سروش ، ط١ ، ١٣٧٠ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ت٥٨٣هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م .
- كنز العمال، المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ، ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني ، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.
- لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، نشر أدب الحوزة ، ١٤٠٥ .
- مجمع البيان، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) تح : لجنة من العلماء والمحققين المتخصصين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
- المخصص ، علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (د.ت) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعوديّ (ت ٣٤٦هـ) ، منشورات دار الهجرة إيران – قم ، ط٢ ، ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش - ١٩٨٤ م .
- معالم التنزيل فى تفسير القرآن (تفسير البغوي)، البغوي (ت٥١٠هـ) ، تح : خالد عبد الرحمن العك ، بيروت - دار المعرفة، (د.ت).
- الميزان في تفسير القرآن ، السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،(د. ت) .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح : د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ط١ ، ١٣٧٦هـ .
- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب (٥٨٨ هـ) ، مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ، تح : لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م.

- المنطق ، محمد رضا المظفر ، مطبعة إسماعيليان ، قم ، ط١٢ ، ١٤٢٥هـ .
- النّصّ والخِطاب والاتِّصال ، د. مُحَمَّد العبد ـ الأكاديميّة الحديثة للكتابِ الجامِعيّ ـ القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥ م .

المقالات الالكترونية

- ٤٠ تناقض في القرآن، سامي المنصوري ، الحوار المتمدن-العدد: ٤٣٢٣ - ٢٠١٤ / ١ / ١ – ١٥ :٣٣ ، المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني على الرابط http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=393871&r=0
- **اقوى ١٠ تناقضات** موجودة في القرآن للمدعو : انونيموس على الرابط https://www.il7ad.org/vb/showthread.php?t=585